

كلمة صاحب الغبطة بطريرك المدينة المقدسة كيريوس كيريوس ثيوفيلوس الثالث بمناسبة تذكار البار ثيودوسيوس

“يا اخوة فاننا لا نكرز بانفسنا, بل بالمسيح ربا, ولكن بانفسنا عبيدا لكم من اجل يسوع. لان الله الذي قال: “ان يشرق نور ظلمة” هو الذي اشرق في قلوبنا, لانارة معرفة معرفة مجد الله في المسيح يسوع” (2 كور 4 : 5-6).

ايها الاخوة الاحباء. ايها المؤمنون, والزوار الحسني العبادة.

لقد تحققت استنارة معرفة مجد الله, بشخص يسوع المسيح الذي ولد في مغارة بيت لحم, والذي اعتمد في مياه نهر الاردن من يد السابق يوحنا المعمدان. هذه الاستنارة الالهية استقرت في شخص ابينا البار ثيودوسيوس رئيس الدير, الذُ قدم من كبادوكية الى هذا المكان المقدس متخذا من منهج الحياة النسكية طريقا قويا للحصول على موهبة الروح القدس, بالتدرج في حياة التوبة حتى البلوغ لحالة التاله.

لقد استحق ابينا البار ثيودوسيوس ان يحظى بلقب رئيس الدير, كونه اسس وبطريقة روحية اصيلة اللافرا (مناسك الرهبان) حيث ازدهرت فيها حياة الشركة النسكية, الامر الذي جذب عدد كبيرا جدا من طالبي الرهبنة, الذين قدموا زرافات زرافات للانضمام لهذه الحياة الملائكية الجديدة.

ان مركز الرهبنة هذا خضع نظام صارم, متخذا له نموذجا خاصا لحياة الشركة, فاصبحت ارض فلسطين محجا, لا بل قدوة ومثالا لحياة الشركة, حسب موهبة البار ثيودوسيوس الفريدة التي ذاع سيطها جدا. ان البار ثيودوسيوس سلك في حياته النسكية باقصى حالات التقشف, فلجم شهواته, واخضع جسده, وضبط فكره, وقيد رغباته الارضية ليسمو بالفضائل. وءعلو بالروح, حتى اكتسب المواهب العلوية, ليطلق عليه بانه انسان روعي يتمتع بمواهب روحية فائقة, الامر الذي حذا بالبطريرك الاورشليمي سالوستيوس (486 - 496 م) ي ان يرقى البار ثيودوسيوس الى منصب الرئيس العام والمسؤول الاول والوحيد عن المراكز والاديرة

الخاصة لحياة الشركة الرهبانية في ارض فلسطين قاطبة, وذلك حسب ما نشره الناسك والمؤرخ (كيرلس سكيثوبوليتس), وفي مصدر موثوق اخر فقد كتب: (اما الانبا ثيودوسيوس فقد اصبح ارشمندريتا ورئيسا لكل المبادئ والقوانين المختلفة للحياة النسكية المشتركة).

ان هدف هذا القانون لحياة الشركة النسكية, هي الوصول الى حالة التاله, اي حياة القداسة, وذلك من اتباع نظام الصلاة المستمرة المقرونة بالحياة التشفية. وهذا ما نوه به الرسول القديس بولس الحكيم قائلا: "اتبعوا السلام مع الجميع, والقداسة التي بدونها لن يرى احد الرب" (عب 12:14). اما القديس اثناسيوس الكبير فيقول "صار الله انسانا, ليصير الانسان الها بالنعمة". والرسول بطرس يقول: "بل نظير القدوس الذي دعاكم, كونوا انتم ايضا قديسين في كل سيرة لانه مكتوب: "كونوا قديسين لاني انا قدوس" (1 بط 15 - 116).

بكلام اخر ايها الاخوة الاحباء

الله هو قدوس, لانه خارج عن الزمان والمكان (اي المادة), فلا احد يستطيع الدنو منه, لانه سيحترق, لان "الهنا نار اكلة", فلا شركة بين النور والظلمة (عب 12:29).

وكما يقول الرسول يعقوب: "الله غير مجرب بالشور" (يعقوب 1 : 13). اما الرسول بولس فيعلن: "الذي وحده له عدم الموت. ساكنا في نور لا يدنى منه.

الذي لم يره احد من الناس ولا يقدر أن يراه.
الذي له الكرامه والقدرة الابديه.
امين (1 تيمو 6: 16).

عند عماد ربنا يسوع المسيح في نهر الاردن من يوحنا المعمدان, انشقت السموات, وظهر هذا النور الذي لا يدنى منه, أي الروح القدس, بهيئة حمامه نازلا عليه. (مرقس 1: 9).
ان كل مؤمن من كنيسة المسيح المقدسه, ومن خلال مراسيم سر عماده, يستلم ختم وموهبة الروح القدس, روح المسيح.

ان مفاعيل هذا السر هي مفاعيل الهية حقيقه, تماما كالاقوال الالهيه التي هي مصدر للحياه وديمومتها, وهذا ما تم في تجربة المسيح في البريه عندما اجاب الشيطان: (ليس بالخبز وحده يحيا الانسان, بل بكل كلمه تخرج من فم الله) (متى 4: 4).

هذه الاقوال هي اقوال الهيه محضه فهي التي تعطي الحياه ببعديها الطبيعي والاروحي, كما يشهد بذلك السيد يسوع المسيح القائل: (الروح هو الذي يحيى, اما البشر (الجسد) فلا يفيد شيئا). الكلام

الذي اكلمكم به هو روح وحياة.

هذا يصبح واضحاً ، عندما معي قول الله تحقق بالله الكلمة الذي تجسد، اي المسيح، لهذا السبب بولس الرسول يصح قائلاً: (انتم الذين بالمسيح اعتمدتم، المسيح قد لبستم) (غلاطيه ٣: ٢٧) النور الالهي للثالوث القدوس المحيي، هو نور ابن الله المسيح كلمة الله وحكمته، الذي فيه اي في المسيح سر ان يحل كل ملء اللاهوت جسدياً (١ كور ٢: ١٩)، هذا هو اللباس الجديد الذي نلبسه (المسيح)، لانه نور وحياء.

ان البار ثيودوسيوس ملكته الغيره المقدسه ليحضى بلباس العماد المقدس بالمسيح، لذا انطلق بحراره روحيه كبيره من موطنه رائسه في كباذوكيه، نحو هذه الارض المقدسه ، ليجاهد الجهاد الحسن في منهج الحياه النسكيه في هذه البراري والقفار، فبنى فيها واحة روحيه وطبيعيه، فاعتنى بالخراف الناطقه بالمسيح في هذه الحظيره الروحيه لحياة الشركه الرهبانيه، ليتحقق ما قيل بفم أشعيا النبي (... الشعب الجالس في الظلمه أبصر نوراً عظيماً ، والجالسون في كروة الموت وظلاله أشرق عليهم نور). (متى ١٦-١٤: ٤).

ان هذا النور ما زال يشرق في هذا الدير العامر حتى يومنا هذا. لأن يستمد إشراقه من النور الالهي الذي لا يعرفه مساء. لنجسد له مخلصنا يسوع المسيح ومع المرنم نقول:

حين ابصرناك ايها المسيح الاله طاهراً في الجسد على منوال يمتنع وصفه. عرفنا أباك الغير المنظور وروحك القدوس هاتفين: باركوت الرب يا جميع اعمال الرب. بالاضافه، نشكر ربنا والهنا الذي من علينا وعلى الكنيسه المقدسه بهذا الكاروز (البار ثيودوسيوس) الذي يركز للثالوث القدوس ولحقيقته الالهيه، كونه اناءاً طاهراً نقياً لقوة استنارة الروح القدس، لتستنير نفوسنا، لنصبح ابناء النور والنهار وحرية المسيح كما يقول المرنم:

اننا نتذكر تعاليمك يا ثيودوسيوس، فنركز بالمسيح ذا جوهرين. ونعتقد بمشيئتين وطبيعتين وفعلين وسلطتين مستقلين في الاله الذي اعتمد بالجسد، والان ومع الكلية القداسه والدة الاله الدائمه البتوليه مريم. تشفعا بغير فتور، من اجل السلام في العالم وفي منطقتنا، ومن أجل خلاص نفوسنا، بصلوات ابينا المتوشح بالله ثيودوسيوس.

امين.

كل عام وانتم بخير.

الداعي بالرب البطريرك ثيوفيلوس الثالث بطريرك المدينه المقدسه اورشليم.

مكتب السكرتارية العام - بطريكية الروم الأرثوذكسية
نشر في الموقع على يد شادي خشيبون